خير البلاد سكنتموها

الطريق الى البصرة

(١-٦)

عبد الكريم العبيدي

قبل اكثر من عام (خطفني) احد اصدقائي القدامى الى البصرة.. كان من نشطاء (ادباء الخارج)، لسعته المنافي والغربة فعاد مبكراً الى بغداد، وحالما اشتعل دمه حنيناً الى (الونبي وابي الخصيب وحمدان) دعاني الى زيارتها فوراً .. كان بحاجة الى انيس من (طينته) فوجدني.. ذهبنا (سراً) وانغمرنا في مفازاتنا القديمة لثلاث ليالٍ سوياً، كتب عنها صاحبي في احدى الصحف الخليجية فأثارت ضجة في (ديوانياتهم) المحافظة والمتطرفة في آن .. فيما انحزت انا، من دونما سبب واضح الى الصمت طلباً للخلاص من الصدمة!

هذه المفازة وهذا الانحياز الغامض —ان صح- سيبرران سر برودي المدهش طيلة (١٦٨) ساعة بصرية، قضيتها هناك، في فرن البصرة —الفرجة.

ولكنني الآن، ابدو اقل اقتناعاً بصحة مبرراتها، ربما لأن المفازة والانحياز ظهراً للتعجيل بغلق الصدمة مبكراً، ولإحاطتها بذلك البرود الجميل، كي اغرف مما تيسر لي من تحولات مذهلة، ومن شروط بناء المتخيل والمستجد معاً، ولربما لأن (غربتي في مدينتي) فرضت عليّ وقتها التحايل والمكر لانفذ بقلمي وعدستي من شروط العزاء والرثاء في مدينة (عتبة)! فلقد تجرني دمعة صغيرة الى قلب مهمتي كلها والتكبير في الانفلات من هول الصدمة، او قد اكتفي وهذا ما كنت اخشاه، ببقعة دم واحدة في (قميص) البصرة التي اكلها الغزاة عبر القرون، وكأنها وجبة استعمارية جاهزة !! آمل.. ذلك بالضبط هو ما دفعني الى البرود، واعتبار مهمتي مفازة، وانحيازي صحيحا.. وهو ذاته، ايضاً الذي يتراخى الآن ويتفكك، ويجعلني اشعر انني كنت اقرب الى المغامرة الصريحة، والى المبالغة في الصبر والترقب .. والآن ايضاً اكتشفت سر الذهول الذي غزا وجه جاري وهو يرى (مظاهر السفر) ويسمعني اردد: الى البصرة.. حدث ذلك في صبيحة يوم السبت ٥/٦ .. جاري الذي صُعق من لحظة التقائنا قال: (في هذا الحر الشديد؟! ثم تساءل: والسلابة، وانعدام الامن!؟ .. انت (مجنون)!).

وفتها، اومأت برأسي موافقاً على كل نصائحه ووصاياه، ووعدته بالاخذ بها، ولكنني بعد دقائق من وداعه نسيتها تماماً (!) تركت البصرة والطريق الى البصرة يأخذان حصتهما مني، ويطالبانني بديونهما المستحقة والمتراكمة منذ اكثر من عقد.. اعرف انها البصرة العنيدة، وان طريقها المميت، طريق الـ(٥٥٠) كم ليس سهلاً في حزيران، فكيف وهو ليس آمناً وفي حزيران!؟

وداع

بدأت الثواني الاولى وكأنها فقاعات تنتفخ وتتمطى ببطء، تدور وتسبح في فلك غامض، وقبل ان تنفجر في زعيق الهورنات، يكون صمتي و (برودي) قد انفجر الف مرة، في ذلك القبو الفسيح، الذي تلبسني فجأة وانعم عليّ بنعمة اللامبالاة (المحورة) والجميلة على اية حال.. كنت اتلفت كثيراً كمن يبحث عن شيء ما افتقده، او سيفتقده عما قليل.. وكان سائق التاكسي يجوس بعينيه هذه اللفتات دون ان يفقه منها شيئاً، لم يع قطعاً انه بجانب راكب سيترك اقسى مشاهده النهارية واكثرها صخباً، راكب سيطلق مشهد (الانتظار القسري والتحرر المؤقت (بالصدفة) من قرية مغلقة الى فنطازية جسر ديالى، (بكراجها) وسوقها القميء وضجيج باعته، ثم محنة العبور اليومي الى الضفة الشمالية من جسر ضيق مؤقت - الجسر الكونكريتي الكبير دمره (فدائيو صدام) لإعاقة زحف قوات الاحتلال بإتجاه قلب العاصمة! ثم الى سلسلة طويلة من زحام التقاطعات والكراجات الطارئة والبضائع المكدسة عبر خط الزعفرانية —الكرادة، وصولاً الى نفايات الباب الشرقي وروائحه ومآسيه).

كل هذا المشهد الرهيب اراه الآن (لآخر مرة)، سأغيب عنه (طويلاً) .. اترك قلق ورعب الثلاث ساعات الصباحية من كل يوم - وفي اقصر مدة لوصولي الى الجريدة - فها انا اعبر الباب الشرقي بإتجاه (النهضة) عبر الطريق السريع اول مرة .. ها انا بلا دوامة صدئة.. انا متحرر يودّع صاحبه البغيض (موجع القلب باكياً!!) يودع سلابة بغداد وانفجاراتها الساعاتية، يودع صخبها وزحام شوارعها وقلق ساكنيها.. فقط سيترك فيها (كرفاناً) بالياً، يُطلق عليه زوراً اسم منزل!.

ذكريات (وقفت)!

ليت الطريق الى البصرة لا يبدأ من هنا، من (كراج) النهضة، من هذه (الخرابة النكرة)، المليئة بنهارات الحروب واماسيها، والمكتظة بالآلام والغربة والقلق.. ليت الطريق الى البصرة يمحو لمرة واحدة، مثابة انطلاقة، سيئة التذكر.. هنا في هذا المكان تشردنا وضعنا وبكينا.. سهرنا الف ليلة وليلة على تخوت خشبية قديمة في مقاهٍ موبوءة، وأجبرنا على مشاهدة افلام الرقص والجوبي في حفلات (الويلاد) وسهراتهم (البستانية) حفظنا كلمات اغانيهم البذيئة وابوذيتهم الرخيصة، وشاهدنا كيف ينشر الثملون مئات الآلاف من الدنانير على رأس (غزلان وملايين) !! اكلنا الفلافل والجلفراي والشوربة والتريس، وشربنا اردأ انواع الشاي من بائعات بائسات احطن الكراج من جهاته الاربع، وجلسنا نندب حظنا كثيراً بعد وقائع غريبة وعجيبة مع السلابة والنشالة والشقاوات والثملين والمجانين والمتسكعين والـ(...)، اللعنة!! ولكن لماذا يصر طريق البصرة على الاحتفاظ بهذا (الرأس) وان كان خرفاً؟.. كان هذا (الكراج) هو آخر وجه (محروق) اراه لبغداد الساهرة حتى الصباح، آخر وجه مشوه لمدينة تنتظر، قبل ان اتوجه الى الموت في جبهات القتال، او اعود بإجازة يتيمة وعاصفة الى (جثة) البصرة التي كانت جبهة هي الاخرى في ظل القصف المدفعي الايراني الذي شرّد اهلها في كل المحافظات وتركها مأوى للعمال المصريين وبقايا العوائل البصرية المسحوقة جداً!

صور صدام .. وداعاً

لم ارَ (النهضة من الداخل) منذ اعوام.. كنت منشغلاً، او جعلوني منشغلاً في نسيانه قسراً .. كانت محاولة بائسة مني او منهم ليس غير.. لم اعرف ان طرق حياتي كلها لابد ان تستدير يوماً ما نحو (شبابها) الضائع، امسها القتيل والمفقود) —الغريب ان اسم الكراج هو النهضة (!! ..)

بعد دقائق عدة، عثرت على الباب الرئيس بصعوبة، تسللت بين عشرات السيارات الكبيرة والصغيرة الواقفة في الشارع، وعلى الرصيف وبجانب الكراج!! واخترقت عشرات من الباعة والمسافرين والسابلة.. اصطدمت كثيراً بالبسطات والجنابر والقمريات، وبباعة الصحف والمجلات القديمة والسكائر والحلوى والهدايا والمتسولين.. لم اجد امكنة مخصصة لوقوف السيارات ولا لخطوط سيرها.. كلها في اشتباك عنقودي خانق، وفي تداخل مقيت خارج الكراج وداخله، واذا شئت الوصول الى مبتغاك، فما عليك الا ان تسير، ان استطعت، على هداية اذنيك فقط، عليك ان تفرز من بين آلاف الاصوات الصاخبة والمتداخلة (جملتك المفضلة) التي قاتلت كثيراً لإلتقاطها، والتي سيقذف بها سائق شاطر، مشيراً الى المدينة التي تنوي الذهاب اليها.. لا تسأل عن مكان وقوف سيارات مدينتك، فلا احد يعرفها، سر (سماعياً) في فوضى متنامية، فلربما ستصل ولو بعد حين! انا، مثلاً، غصت في بحر الضجيج والفوضى لدقائق عديدة، وبعد نصف ساعة تقريباً سمعت سائقاً يزعق: للبصرة (بالدولفين) وآخر للبصرة (بالبهبهان)!، ثم سمعت سواقاً يهتفون بأعلى اصواتهم: للبصرة (بالكابرس)، للبصرة (بالسلبرتي) للبصرة (بالسوبر) .. آخرون هتفوا للبصرة بالـ (GMC وللبصرة بالريم (عالتبريد) ولأول مرة يحدث قطع مريب في بصري، لأول مرة ارى الكراج خالياً من صور وجداريات (القائد الضرورة)!! اختفت كل اقواله المأثورة وشعاراته ووصاياه، وحلت محلها صور متخيلة لبعض الائمة، وصور لبعض المرجعيات والرموز الدينية.. وشاهدت شعارات واقوالاً مكتوبة بخط رديء تمدح وتذم وتهاجم، واخرى تتوعد قوات الاحتلال وتحذرهم!.. لأول مرة ارى (النهضة) خالياً من الجنود البؤساء والانضباط العسكري وشرطة النجدة والمخربين.. لأول مرة ارى تلك الخرابة وقد ازداد خرابها، جدران عتيقة ومحال بائسة وحفر وبحيرات مياه آسنة ونفايات، وتلول عالية من المزابل تظهر برؤوسها من كل زاوية داخل وخارج الكراج (!) .. متى اغادر هذا المكان؟.. من يخلصني من روائحه؟ (سيارتنا) احاط بها باعة العلك والسكائر والقداحات والاقلام والحلوى البيبسي والهدايا الرخيصة، وزارها لمرات عدة، الشحاذون (جميعاً)، وباعة الصحف والمجلات والصور، وباعة قناني المياه والحَب والكرزات والموز!!.. بعد اكثر من ساعة عثرت على ضالتي .. نفذت سيارتنا (الكارثية) من بين الزحام والضجيج والروائح الخانقة.

اختفاء رسمي!

طلب منا سائقنا، بعيد خروجنا من الكراج ان (نصلي على محمد وآل محمد) .. صلى اغلبنا، وصمت آخرون.. قال احد الركاب، وكان عجوزاً يعتمر الكوفية والعقال: (نذكرهم في اوقات الشدة فقط!!) وافقه السائق مرغماً، ثم اندلع حديث ذو طابع ديني ساخن بينهما، سرعان ما اشترك فيه راكب آخر...مضت (الدقائق الدينية) سريعاً، ثم انقلبت، وهو ما كان متوقعاً الى سياسية محضة تخص المشهد العراقي حصراً، وهنا تصادمت الآراء والمداخلات، وظهرت خلافاتنا بـ(افضل) اثوابها، وتوزعت الشكوك والولاءات على رموز المشهد جميعاً!!

صاح الراكب الذي يجلس امامي: ياجماعة (صلو على محمد) .. كنت اتوقع هذه الاعادة فصليت هذه المرة معهم بصوت مسموع، عسى ان يصمت الجميع، واظفر بهدأة ولو قصيرة!

ولكن الركاب لم يصمتوا الا بعد اكثر من ساعة.. نام بعضهم وصمت الآخر .. ادركوا ان (افلامهم القصيرة حتماً) تنتهي سريعاً، فلاذوا بالاكل والشرب والكرزات، ثم (اختفوا) فجأة وسط دخان سجائرهم وسعالهم، قبل ان يختفوا (رسمياً) في شخيرهم كنت وحدي اصطاد وحدات متفرقات .. اصطاد وحدتي الضيقة واعقد معها صلحاً مؤقتاً، اضع فيه الشروط واوزع الادوار، وابرم هدنة هشة، سريعة الهلاك.. اصطاد وحدة عائلية، ارسم لها برنامجاً كاذباً، كثير الاحلام والاماني، واعرف وانا فصله، انه من صنع رمال عراقية!.. اصطاد وحدات لا نهائية للمدن والاقضية والنواحي التي نعبرها.. وحدات تعزلني عن (لحن) السيارة ولحن ركابها وعن لحني ايضاً ..كنت وحدي اعيد على مهل قصص محنطة ومعزولة .. فصلها فارق السرعة لحركتين متعاكستين، حركة السيارة وحركة الحياة خارج مشهدنا العابر!.

في السيارة نبدو من داخلها ذواتاً شبه مستقلة، وتبدو الحياة من حولنا مشهداً واحداً متعدداً ومتحولاً، وكان صراعنا مع بعضنا ومع الخارج يبدو عنيفاً حيناً وبارداً في حين آخر.. لا ينبغي ان نتماثل او نمتثل، فنحن شروح ثابتة تجمعها رحلة ويفضحها اللقاء وستفرقها (ساحة سعد) .. لا احسب ان احداً منا كان لايفقه هذه الشروط، او كان يذهب ابعد من مساحتها الضيقة، رغم ان تفاعلنا العام عكس بوضوح ان للالفة نظاماً آخر ما زال غامضاً!

(كان زمن خير)!

في اطراف بغداد الجنوبية تتوقف السيارات عند باعة الثلج (لتتزود، قبل الربع الخالي بقطرة ماء).. ومن هذه الوقفة، ينسى الراكب شيئاً ما، شيئاً كان يخنقه ويعيقه، كان يجره الى الخلف، الى نسق حياتي ثابت، اعتاده والفه.. قبل هذه الوقفة كان جزءاً من حالة مستقرة، حالة ثابتة، لها خريطة واغراض وصراع، وها هو يخلعها لأول مرة، ينفصل عن بنيتها بهدوء.. لقد بدأ يتجدد، يستعد لبنية قادمة، لحياة ستجرّه بهدوء ايضاً، وتلبسه خريطتها واغراضها وصراعها.. انها الانتقالة الاولى اذن، انه التحوّل في نسقه، وفي نسق الاشياء من حوله.

قال العجوز الذي عقّب على (الصلوات): (مضى على هذه الوقفة اعوام عديدة، كانت تتوقف السيارات من انواع - باص خشب،(نيرّن دك النجف) ، (اقجم)، (الخرسة) - ثم ينزل (السكن) ويشتري ربع قالب ثلج بخمسة عشر فلساً (!) ويضعه في ثلاجة خشب، او في الترمز فيما بعد (!)، لم تكن هناك مواصلات من بغداد الى البصرة عدا القطار القديم.. كانت السيارات القديمة تعمل بخطوط محدودة، من بغداد الى الصويرة، من العزيزية الى الكوت .. وكانت الشوارع ترابية - سدّة، وكان ركاب ايام زمان، خليطاً من العجائز والشرطة والجنود المتطوعين ومن الباعة، ونادراً ما نرى موظفاً (!)، وكنا ننحشر مع باعة الروبة والقيمر والجبن، ومع رعاة الاغنام واغنامهم (!) ومع الجت واقفاص الدجاج، وبعد تبليط شارع بغداد - البصرة في الستينيات، ظهرت سيارات (حديثة) مثل (النيرن) دك النجف والمرسيدس —جنح— والقجمة واقبل الناس عليها وتركوا القطار، بسبب سرعتها، وللراحة بعيداً عن مرارة القطار ودوخته وصفاراته (!!)، كنا نجتاز المسافة بين بغداد والبصرة بسبع ساعات فقط (!) اما الآن، فبتسع ساعات او عشر (!) لم يكن سابقاً زحمها في الشوارع ولا توقفات، كانت سيطرة واحدة فقط تفتش السيارة.. كان زمن خير)!

صورتان

مظاهر (حرب التحرير) ما زالت شاخصة على جانبي الشارع، سواء من اثر القصف الصاروخي او من موجات السلب والنهب.. بنايات محطمة، محال تجارية منهوبة، هياكل لعامل ومصانع ومؤسسات ومقرات محروقة.. دبابات وسيارات ومدافع ورباعيات مقصوفة ومحروقة (تناكر) مثقوبة بشظايا.. ومن حين لآخر نجتاز رتلاً امريكياً او (نتحاشاه) .. يحدق فينا الجنود من خلف نظاراتهم السود، يلوح بعضهم بيده او يرسم (اشارة النصر) .. اطفال حفاة يحيطون بدبابة .. وجنود امريكان يشربون العصير.. لوحات لواقع لايريد ان يتغير فجأة، يريد ان يزحف ببطء، محتفظاً بصورتنا، وبصورة الشواهد العاصفة التي تشيد الى كارثتين متتاليتين —صورة الامس الوحشية وصورة الاحتلال.

نياحة باردة

في ساعة ما من ساعات (الطريق الى البصرة) يحتاج المسافر الى بلاهة قليلة يروّض بها اختناقه .. الجفاف والدمار من حوله يسعّر الدقائق فتصبح مثل دقائق (خليل الحاوي، لها ارجل ممطوطة كالعصور !) ادركت ذلك من وقت مبكر، فلصقت وجهي هذه المرة بزجاج النافذة، وتركت بصري يتباله، وهو يشرّح النخيل بقليل من السذاجة، قلت: (النخلة وهي ساكنة تبدو اكثر صبراً وشموخاً، جذعها البني يثبت انها حيّة وصامدة، وعروقها الغليظة النافرة تفرش رسوخاً ازلياً على ما يحيط بها من اعشاب وحشائش وزروع .. اما سعفها الاخضر والمترب دائماً فيتدلى بإنحناءات متناسقة، وبإنصاف اقواس صريحة.. هي ظمأى دائماً، في الصحارى او في البساتين.. جذعها المتخشب الحزين يفرض عليك ذلك .. لا يمكن ان تقنعك هذه الخشونة والفحولة بأنها شجرة (نباتية) .. هي اعلى من ذلك بكثير- تقول في خاطرك الآن: انت جنوبي! —الادلة طفولية ... ابن السنة والسنتين والثلاث لايمكن ان يصدّق ان هذه المخلوقة المدهشة التي حبا حول عروقها، وحدق في عثوقها انها سدرة او عنبة، ابداً، انها ابعد من ذلك —اتردد كثيراً في تسميتها وتصنيفها بل اتلعثم!- .. نخلة (السكون) ثورة صامتة، خجولة، طيبة .. تتحول رويداً الى طور آخر، بعدما (يحبو) الهواء على سعفها .. تناغيه، تدله على حركته تجسدها له ولنا ولذاتها.. النخلة (الهوائية) تجميد الهمس ، يتحدث سعفها (الهواء) .. منه فقط اكتشفت اجمل لهجة للغات الهواء العديدة!

السلابة

سأخاطر في هذه الصورة ايضاً .. لقد وجدت صعوبة بالغة في رسم بورتريه للخوف الجمعي المزمن من ايّما (تعارض) من تعارضات السلابة .. التعارض الملموس في خفض سرعة السيارة، والمحسوس في رجة الركاب واستطالة اعناقهم، والتفاتاتهم السريعة .. شيء ما مخيف ومفزع في الخارج، اقتحم سكونية السيارة وهز (اثاثها) المصدوع بقوة..

الاشتباك يبدأ من لحظة تحوّل في ارتباك السائق وحركة السيارة وتجمع السيارات في الشارع .. الكل بمن فيهم السائق يريد ان يعرف ما يدور هناك .. والكل يحدق من النوافذ ويسأل السائق في آن واحد! يخفّض السائق من سرعة السيارة ، وهو يحدق بعين العارف المتمرس، ثم (يرش) على قلق ركاب سيارته جملة باردة (اطمئنوا .. سيارة مقلوبة —حادث تصادم بين سيارتين —سيارة (بيهه بنجر) —قطيع اغنام يعبر الشارع — سيطرة —بانزين خانة — استراحة —مطعم —رتل امريكي)!

كل هذه المطبّات تأسست من خشية التسليب، صنعت لها في الذاكرة الجمعية حضوراً متوارثاً وغلقت لها اثراً مسحوراً.. قال السائق: (تعرضت سيارتي للسلب اكثرمن مرة، آخرها حدث قبل تسعة اشهر في مكان لا يبعد كثيراً عن منطقة علي الغربي) .. كانت الشمس تميل الى الغروب، فقد تأخرت لأكثر من ساعتين بسبب عطلات طارئة حصلت لي في تلك الرحلة .. وحين وصلت الى ذلك المكان، لمحت احجاراً كبيرة معروضة على عرض الشارع.. حاولت بأقصى جهد ان اخفض من سرعة السيارة لكي استدير واعود الى اقرب سيطرة، ولكنني فوجئت بوابل من الرصاص بإتجاه سيارتي.. توقفتت، ولاحظت شخصاً مسلحاً يتقدم نحوي فنزلت ووضعت يديّ على رأسي استجابة لأوامره، ثم طلب مني ان اهرول الى الجهة اليمنى من الشارع وطلب من الركاب ان يفعلوا مثلي بأقصى سرعة.. كان بعضهم كبير السن ومعهم نساء واطفال.. توجهنا جميعاً الى سد ترابي، وهناك نهض نحونا ثلاثة ملثمين ومسلحين وامرونا بالجلوس على الارض .. فيما هرع اثنان آخران نحو السيارة وافرغوها من حقائب المسافرين ومن حاجاتها الضرورية، بما فيها الاطار (السبير) .. بعدها تقدم اثنان يحملان اكياس طحين فارغة وطلبوا منا اخراج كل ما نملك من اموال وساعات وخواتم ونظارات واحذية ثم اعتدوا علينا بالضرب والركل وخلعوا ملابسنا بإستثناء النساء وطلبوا منا الذهاب بسرعة الى السيارة.. لم يكن الشارع فارغاً .. فقد عبرت عدة سيارات اجرة وحمل واكتفوا بالتحديق وخفض السرعة (!)، اما السلابة فقد اختفوا عن انظارنا .. توجهنا بصعوبة نحو سيارتنا فوجدناها (منتوفة) بعدها انطلقت بسيارتي مسرعاً ووصلت الى اول سيطرة شرطة، وكانت لا تبعد كثيراً عن مكان السلب.. اخبرتهم بما حدث لنا ولكنهم لم يفعلوا شيئاً!! المؤلم (اضاف السائق) ان بعض السائقين يتفقون مع السلابة على سلب ركاب سياراتهم، ويخبرونهم بساعة وصولهم الى الفخ، وبعد اتمام العملية ينالون حصة الثلث الذي استولوا عليه من حقائب واموال وحاجات! فهم على ما يبدو من قرية واحدة.

باي ..باي (القائد)

اخيراً تحرر (الطريق الى البصرة) من صور الطاغية .. لم ارَ حتى بقايا من (بيريته) او شعر رأسه، او من (البرنو) التي طالما لوّح بها.. شاهدت مكانها صوراً للائمة والمراجع الدينية ترفرف عليها اعلام سود وبيض وخضر، وشاهدت آيات قرآنية وشعارات ومقولات .. اما سيطرات الفيالق والحدود الادارية للمحافظات فقد استعيض عنها بأفراد من الشرطة العراقية!.. لم نتوقف في أية سيطرة، ولم يأمرنا احد بالنزول من السيارة لغرض التفتيش و(حلب) الجنود البؤساء (ايام زمان) !! كنا نمر على السيطرات (مرور الكرام) يلقي السائق التحية عليهم، فيردون بأحسن منها، ويردد (عجوزنا) والله .. زمان!! هكذا تمس دائماً امكنتهم الفاسدة بمجرد رحيلهم عنها.. خرائب منهوبة عليها الذكريات المرّة التي سلبت منا الكثير.

ستلايت

ما زالت القرى الريفية تشبه الخرائب.. بيوت من الطين او الطابوق المصفوف تجول حولها الابقار والاغنام والحمير والكلاب.. ما زال الاطفال العراة يسبحون في الشطوط وبرك المياه الآسنة، ويلوحون للسيارات العابرة.. ما زال الرعاة يتنقلون من مكان الى آخر بثيابهم الرثة، واغنامهم الهزيلة دائماً! ما زال باعة المرطبات يهرعون نحو أية سيارة تتوقف او تخفض من سرعتها، ليعرضوا بضاعتهم المغشوشة بطريقة اقرب الى الاستجداء! مازال اغلب المطاعم مغلقاً او منهوباً اما المفتوحة منها فتفتقر لكافة الشروط الصحية والانسانية والاخلاقية (!!)

الشيء الصارخ والوحيد الذي صدمني فإنبهرت به هو رؤيتي لآلاف الصحون (الستلايت) المعروضة على اسطح بيوت الطين والصرائف في خرائب ريفنا المزمنة!

لقطات

*البوابات الضخمة التي امر صدام بإنشائها عند مداخل الحدود الادارية للمحافظات لم يُنهب منها طابوقة واحدة عدا صوره التي لا تعد والتي وضعت مكانها صور من شنقهم من علماء دين!!

* كلما تكاثرت اشجار (النخيل على جانبي الطريق عرفنا اننا نقترب من مدينة جديدة فيقول لنا السائق (هذه الصويرة - الحفرية - العزيزية - الكوت - الحي- علي الغربي- علي الشرقي- كميت- العمارة - قلعة صالح - المجر - العزير- القرنة - الدير - الكرمة - الهارثة - الكزيزة - الونبي).

* ما زال الكثير من الجسور محطماً، والتحويلات المؤقتة اصبحت دائمية (!) والشارع يعاني من تخسفات ومطبات كثيرة.* ما زال الطريق الى البصرة (نهارياً) فقط اما بعد مغيب الشمس فهو ملك السلابة! اين البصرة؟

مشتاق

وصلنا البصرة، قالها السائق بلهفة.. كانت الحرارة شديدة كالعادة، والهواء الحار يشوي الوجوه.. شاهدت كراجات الاحياء السكنية واسواقها.. كانت كما هي منذ عدة عقود.. نفايات ومخلفات، واكياس نايلون (طائرة) .. شاهدت تناكر الماء الحلو(RO) منتشرة على جانبي الطريق، وشاهدت سكنة المدن والاقضية والنواحي بدشاديشهم البيض والكوفية والعقال وشاهدت عربات الخشب التي تجرها الحمير وباصات الخشب القديمة وعربات النفط شاهدت النساء البصريات بأزيائهن الازلية، الفوطة والعباءة السوداء والنعال (البلاستيك)!! ورأيت اكواماً عديدة من الرقي والبطيخ على جانبي الطريق، يستظل باعتها بحصران صفر مثبة على خشب القوغ..

وشاهدت من بعيد (ساحة سعد) وقد غزاها الجفاف والاهمال، وحجبتها السيارات الكثيرة والمعارض والكراجات الطارئة!! وقبل ان تعثر سيارتنا على مكان ضيق لوقوفها المؤقت واجهنا رتلاً عسكرياً طويلاً.. قال السائق هذا رتل بريطاني! فأجابه عجوزنا الطيب: (هلا .. هلا ببو ناجي.. هلا بعمامنا الاوليين) !!!